

## التشكيل الدلالي في مرحبا يا أيها الأرق و يا نديمي

الأستاذ الدكتور فليح كريم الركابي  
جامعة بغداد - كلية الآداب

تتداخل المستويات الإيقاعية والتركيبية والدلالية و تتصافر فيما بينها داخل النص، لأنها عوامل رئيسة في بنائه لتقدم لنا صورة رائعة تهيمن على ذهن المتلقي أو تشده نحو النص متأملاً، ومستمتعا لذا يكون التحليل متداخلا نوعا ما، فحاولنا جهد الإمكان الفصل بين المستويات الثلاثة في دراسة النص الجواهري ((مرحبا يا أيها الأرق ويا نديمي)) علما إن اللغة هي الوعاء الذي تصب فيه الأفكار لتقدم إلى المتلقي صوراً وإيقاعاً وتركيباً، يثير المتعة في النفوس أما بالإشارة أو الرمز أو الإيحاء، وهناك فرق بين المعنى والدلالة، فالمعنى ثابت، والدلالة عملية معرفية متغيرة متجددة ترفد المعنى باستعمالات جديدة، وتعمل على ربط العلامة التي يتم التقاطها بشيء أو مفهوم أو حدث جارٍ في الواقع الخارجي، فالكلمة مشحونة بالمعنى وتدل عليه إذا كان (اسم علم) أو ظاهرة طبيعية، أو ملامح وجه بشر، والفعل مشحون بالحدث والزمان الدال عليه، ومن ذلك تتكون اللغة الشعرية دلالة وبناءاً فالدلالة ((هي ضرب من المخزون الكامن داخل اللغة على حين إن اللغة الشعرية هي بناء)) (١) فضلا عن ذلك إن الألفاظ تعطي معانيها واضحة في السياق العام، وحينما تكون في الشعر تملأ بطاقات تعبيرية إضافية، لأن الشعرية تتحرف إجاباً بأساليب القول وذلك ما يثير المفاجأة في نفس المتلقي، فتكون هناك صورة مركزية، وصورة جزئية جانبية متممة لبناء العمل الأدبي ومتفاعلة معه، وقد تجتمع في المقطع الواحد، أو اللوحة الواحدة مجموعة صور، وذلك ما توافر في نص الجواهري مرحبا يا أيها الأرق ويا نديمي الذي سندرسه على وفق المنهج الأسلوبي، في هذا البحث تحت عنوان التشكيل الدلالي، أي التنويعات الفنية للصورة والتصوير في النص الجواهري .

إن الشاعر أعطى الصورة أو الدلالة بعدا فلسفيا فكان التشكيل معمقا من خلال اللغة حين عرض للحادثة التاريخية للفيلسوف سقراط الذي بقي خالدا، لأنه التزم بالمبادئ، وضحى من اجلها، فاللغة جاءت معبرة، ومجسدة لتلك التضحية في نص شعري متماسك ((إن ما يقرر حيوية هذه الكلمة أو تلك وما يحدد لنا إسهامها في حركة النص الشعري هو اندراجها في سياق لغوي ملموس)) (٢) قال الشاعر

يا نديمي أمس استمعتُ هُنافا  
من بعيدٍ من غابرات القرون  
إن كُن المرءَ لأيهابُ مطافا  
لنجاء مشى به أو كمين  
أن ((سقراط)) ذاق سُما ذعافا  
ليرى الفكر فوق ريب الظنون

يا نديمي رغم كَرّ السنين

ظل((سقراط)) فوق ريب المنون(٣)

الجواهري هو سقراط الحكيم وهو من تجرع السم في وطنه، فها جر مرغماً ، وان العظماء لا يموتون ،فهم أحياء في ضمير الإنسانية .

لقد بقي ((سقراط)) حيا على الرغم من مرور عشرات القرون على مصرعه، لأنه قدم شيئا خالدا للإنسانية والمبادئ، فالصورة هنا ذهنية فلسفية تأملية، تعكس ثقافة الشاعر، واطلاعه على الآداب الإنسانية ((والواقع إن الصورة الشعرية تكاد تكون في معظمها صورا ذهنية إذا أخذنا أدواتها التوصيلية بعين الاعتبار)) (٤) أي إن الانزياحات موجودة إلى جانب الانتقال الدلالي داخل الصورة المركزية في النص. إن الذي يدور في مخيلة الشاعر هو واقع بلده المتخيم بالإحداث ((منذ ألف وأهله شيع)) وهي صورة، يتحدث بها العراقيون دائما حينما تمر بهم ملمة ليعكسوا واقع مجتمعهم الذي تحكمه البدع ،والركض وراء المصلحة الشخصية، وهذا ينعكس على بناء الشخصية التي تعاني إسقاطات كثيرة ومن ذلك صورة الفقر التي لازمت المجتمع قال:

يا نديمي والفقرُ عارٌ مهينٌ  
والنواميسُ عارُها الفقراءُ  
درجتُ اعصرُ ومرت قرونُ  
و اناسٌ لغيرهم اجراءُ  
واناس كما تريد تكون  
واناسٌ كما يريدُ الشقاءُ

يانديمي وكلّ دعوى هراءُ

ماتبقى محسناً ومساء

لقد صور الشاعر الإنسان حينما يكون محاصرا بالفقر والحرمان ،أي إن الذهن يتأمل ويرسم صورا للواقع مبتعدا عن استخدام المرجعيات البلاغية المعروفة في

بناء الصورة ((وهناك الصورة التي تتبنى بواسطة رص المعطيات المرجعية المتناقضة في تركيبية، واحدة فتذوب خلالها حدة المفارقة لان هذه المعطيات المتناقضة عندما تدخل إلى حيز المتخيل، تجد المناخ الفني الذي يجعلها تأنس إلى بعضها وتعمل على تشكيل صورة مرئية على أنقاض المعاني الممعة في التجريد)) (٥) ان التشكيل الدلالي عند الجواهري أعطى بعدا معمقا في رسم أبعاد الصورة التي أصبحت مترابطة إيقاعيا وتركيبيا ودلالة والسبب فحولة الشاعر وثقافته الواسعة فضلا عن موهبته ونباهته.

إن ألوح الجواهري في ((مرحبا ياايها الأرق)) كانت ذاتية تحكي هموم الشاعر ومعاناته جراء الغربة والنفي ((وبعد فلا بد أن تكون هذه الصورة نفسها التي استلزمت هذا الإطار-هذا الأرق- هي التي فرضت علي هذا التعبير الناضج صدقا وحباً وترحيباً... ومن وجهة ثانية لآبد أنها هي نفسها التي فرضت علي أن أقف بهذا التعبير من حيث أراد هو نفسه أن يقف بي.. وان انتهى منه على قصره لمحض أن المضي فيه أكثر فأكثر كان فضولا في القول وإقحاما في الأداء)) (٦). الجواهري أكثر الشعراء العراقيين واقعية في التعامل مع الأحداث الوطنية وقد كان شعره وثائق فنية تستعرض تاريخ العراق في القرن العشرين لأنه رافق الأحداث منذ عام ١٩٢٠ حتى نهايته فمن يريد قراءة تأريخ العراق السياسي و الاجتماعي والفكري، فليقرأ شعر الجواهري لان تلك التجربة الشعرية جاءت تصويرا دقيقا ورائعا له، ونلاحظ إن بناء الصورة الذهنية للطارق الجميل الأرق بحسب تعبير الشاعر جاءت مجسدة للأحداث النفسية التي تزخر بها حياة الشاعر:

مرحبا: ياايها الأرق	عاطني من خمرة السهر
ان هذا العمر يخترق	كاخترق الثوب بالابر
وهو بالاوهام يسترق	كاستراق الغيم للمطر
فازرنيتها ولا تذر	
كم غد الوى فلم يزر	

ويضع الجواهري تشريعا شعريا رائعا لكتابة الدساتير في العالم التي ينبغي أن تكتب بحيادية تامة تضمن حقوق الشعب، وذلك ما لم يحدث عندنا، فكانت الشعارات المزيفة والحروف المنمقة سائدة وأنت تقرأ متونها تحس بالسعادة بيد إن التطبيق لا يتناسب مع المكتوب،فتصاب بخيبة أمل، فالدستور في النظم

الدكتاتورية لا يشرع بالاستفتاء وقناعة الشعب بل بالسيف وهذا مرفوض، ويجب ان يحترم الشعب ويكون له الرأي الراجح في كتابة دستوره:

يانديمي كم من شعار كذوب  
كل مافيه من هناء وطيب  
كان فيهن شبه مرعى جديب  
يانديمي كل الحروف تخيف  
في دساتير شرعتها السيوف  
من مضامينه تهزا الحروف  
عن معان اضدادها تحريف  
أخطأت قصدها اليه ضيوف

ويحضر التصوير الاجتماعي في لوحات الجواهري، ويكون الحكم في الشرق بعيدا عن أحكام البداوة أو الحضارة لا بل أن البداوة تكون ارحم من أحكامهم القاسية، وقد حاول الشاعر عقد مقارنة بين المجتمع الشرقي، والغربي، ولكنه خلص إلى نتيجة إن أحكام أولئك الناس في مجتمعنا الشرقي لم ترد لا عند الأنبياء ولا في تعاليمهم ولا في تعاليم بوذا. إن الشاعر كان يعاني اغترابا فكريا جراء لازدواجية السائدة. فالتصوير فلسفي اجتماعي لمجتمع شرقي تحكمه تقاليد معروفة:

يانديمي وعشتُ بينَ غلاة  
لالحضر كانوا ولالبداة  
هم من الشرق شر مافي الفلاة  
عاف ((بوذا)) تجارها المأيوسا  
أفرغوا فوق ((خنجر)) برد عيسى  
ان عند البداة نعى وبوسى  
ومن الغرب استجدَّ لبوسا  
وأبى ((احمد)) و((عيسى)) و((موسى))

أن حضارة الشرق وتأثره بالغرب كانت بالملابس فقط. او بالمظاهر و إهمال الجوهر.

ويكون الشاعر اكثر واقعية، وهو في براغ مصورا المجتمع المنفتح، وقد كان الجواهري وسطيا في استعراضه قائلا :

يانديمي ان الجمال متاع  
ليت هذا النصف اللطيف اقتراع  
ظلم الشرق عند شرق جياغ  
وحياة بلا متاع جحيم  
لاكظيظ منه ولا محروم  
كضباغ وعند غرب حريم

## يا نديمي وهكذ سيدومُ في صراعٍ مع الشقاء النعيمُ

لقد كانت المتضادات والثنائيات عنصرا رئيسا في بناء الصورة، وإبراز معالها في نص الجواهري الذي تهكم فيه كثيرا، وسخر من الواقع الذي تحكمه المتناقضات. إن التشكيل الدلالي في نص الجواهري، منح المتلقي متعة معنوية حين يتأمل الألفاظ، ويرسم صورا حيه لها في ذهنه. إن خيال الجواهري العميق منح الصورة أبعادا دلالية حين انتقلت المدركات من المجردة إلى المتخيل الذهني، والحسي، وقد كانت بعيدة عن الانفعال، وأثارت روح السخرية حين خلق الشعر عوالم متخيلة .

وخلاصة القول إن الشاعر الجواهري تمكن من تقديم صورة إما عن طريق الاستخدامات البلاغية التقليدية أو عن طريق التصوير الذي كان مستخدماً أو عن طريق التخيل وهو السائد في النص، لأنه كان متأملاً ومتفاعلاً مع موضعه وقد عكس لنا النص ثقافة واسعة يمتلكها الشاعر، وهي حصيلة تراكمات زمنية طويلة تجسدت في هذه التجربة الشعرية الرائعة .

## هوامش البحث ومصادره

١. الأدب والدلالة- تودورف ت- محمود نديم خشفه مركز الإنماء الحضاري حلب ١٩٩٦ ص ١١٤

٢. الدلالة المرئية قراءات في شعرية القصيدة الحديثة د.علي جعفر العلق دار الشرق للنشر عمان الأردن ط ٢٠٠٢.ص٣٨ .
٣. ديوان الجواهري دار الحرية للطباعة والنشر بغداد ط ٢٠٠١ ص . ٨١٦ .
٤. البنيات الدالة في شعر أمل دنقل عبد السلام المساوي منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٤ ص ١٠٧ .
٥. البنيات الدالة في شعر أمل دنقل عبد السلام المساوي منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٤ ص ١١٤ .
٦. ديوان الجواهري ص ٧٨٧ .